Journal of Libyan Academy Bani Walid 2026
مجلة الأكاديمية الليبية بني وليد
e-ISSN: 3104-3860
Volume 2, Issue 4, 2026, Pages: 88-106
Website: https://journals.labjournal.ly/index.php/Jlabw/index

Self-Alienation in the Poetry of Abdul Hamid Battaw: A Study of the Manifestations of Existential Crisis and Political Dispossession.

Rehab Mohammed Issa Abdulrahim Al-Shathouf [1*], Merfat Jowana Abdulrahman[2]
[1]Department of Literature, Faculty of Arabic Language, Sayyid Muhammad bin Ali Al-Senussi Islamic University, Al-Bayda, Libya.
[2] Department of Arabic Language, Literature Division, School of Languages, Libyan Academy for Postgraduate Studies, Al-Jabal Al-Akhdar Branch, Al-Bayda, Libya.
*Email: Merfat.mer30fat@gmail.com

الاغتراب الذاتي في شعر عبد الحميد بطاو: دراسة في تجليات الأزمة الوجودية والاستلاب السياسي

رحاب محمد عيسى عبد الرحيم الشاظوف[1*]، مرفد جوعانة عبد الرحمن[2]
[1] قسم الأدبيات، كلية اللغة العربية، جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، البيضاء، ليبيا.
[2] قسم اللغة العربية، مدرسة اللغات، الأكاديمية الليبية للدراسات العليا – فرع الجبل الأخضر، البيضاء، ليبيا

Received: 25-04-2026	**Accepted:** 26-06-2026	**Published**: 08-07-2026
Copyright: © 2026 by the authors. This article is an open-access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY) license (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Abstract

This research explores the phenomenon of alienation in the poetic oeuvre of Abdul Hamid Battaw, framing it as an existential crisis engendered by the ordeals of imprisonment, oppression, and the shattering of national dreams. The study traces the manifestations of this phenomenon across several trajectories: the alienation of the self, which oscillates between sorrow, anxiety, rejection, and rebellion against the hypocrisy of authority; death as an alienating state that reflects the extinguishing of beauty; and the alienation of aging, embodied in the soul's fierce struggle against the encroachment of senescence. Ultimately, the study concludes that the poet did not succumb to his isolation. Instead, he transmuted his alienation into a defiant creative energy, embracing the poem as an alternative homeland and wielding it as a weapon to defy mortality and resist both political and temporal dispossession.

Keywords: Existential Crisis, Political Dispossession, Rejection and Rebellion, Prison Literature, Struggle with Time.

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة الاغتراب في التجربة الشعرية لعبد الحميد بطاو، بوصفها أزمة وجودية أفرزتها تجارب السجن، والقمع وانهيار الأحلام الوطنية، وتتتبع الدراسة تجليات هذه الظاهرة عبر عدة مسارات: اغتراب الذات المتأرجح بين الحزن، والقلق، والرفض، والتمرد على زيف السلطة، والموت كحال اغترابية تعكس انطفاء الجمال،

والاغتراب الشيبي المتمثل في صراع الروح مع زحف الشيخوخة، وتخلص الدراسة إلى أن الشاعر لم يستسلم لعزلته، بل حوّل الاغتراب إلى طاقة إبداعية رافضة، متخذاً من القصيدة وطنًا بديلاً، وسلاحًا لمكابرة الفناء، ومقاومة الاستلاب السياسي، والزمني.

الكلمات المفتاحية: الأزمة الوجودية، الاستلاب السياسي، الرفض والتمرد، أدب السجون، صراع الزمن.

مقدمة:

يُعدّ الاغتراب من أعمق الظواهر الإنسانية، والوجودية التي رافقت الإنسان منذ نشأته، فهو ليس مجرد شعور حزن عابر، أو العزلة، بل هو حال من التمزق الداخلي، والانفصال العميق بين الذات، ومحيطها، وبين طموحات الروح، وقسوة الواقع. لقد مثّل هذا الشعور أزمة وجودية كبرى تجلت بوضوح في نتاج الإنسان الأدبي، والفكري؛ حيث وجد المبدع في الكلمة ملاذًا أخيرًا لترميم هذا التصدع، ومحاولةً لفهم موقعه في عالم يبدو غريبًا، وموحشًا.

وفي العصر الحديث اتخذ الاغتراب أبعادًا أكثر تعقيدًا، وقسوة، فمع تشابك أزمات الحياة السياسية، والاجتماعية، وتغول السلطة، وتراجع القيم الإنسانية تضخم هذا الشعور؛ ليتحول من مجرد أزمة فردية إلى ظاهرة جماعية ضاغطة. وقد انعكس هذا التحول بقوة على الأدب؛ ليصبح الاغتراب مدارًا مركزيًا، ومحركًا أساسيًا في الشعر العربي المعاصر، فالشاعر العربي بوعيه الحاد، وحساسيته المفرطة، وجد نفسه مغتربًا داخل وطنه يعيش مفارقة مؤلمة بين ما يؤمن به من مبادئ الحرية، والعدالة، وواقع سياسي، واجتماعي يفرض عليه التهميش، والمصادرة، وهو ما جعل القصيدة الحديثة صرخة احتجاج، ووثيقة نفسية تسجل آلام الاستلاب، وضياع الهوية.

ولم يكن الشعر الليبي بمعزل عن هذه التحولات العاصفة؛ حيث تفاعلت الساحة الثقافية الليبية مع قضايا الأمة، وهمومها، وبرزت أصوات شعرية حملت عبء التعبير عن آلام المرحلة وتناقضاتها، رافضةً الخنوع لواقع القمع، وتكميم الأفواه. ومن أبرز هذه الأصوات الرائدة الشاعر عبد الحميد بطاو، الذي لم يكن الاغتراب في شعره ترفًا فنيًا، أو تقليدًا أدبيًا، بل كان انعكاسًا صادقًا، ونازفًا لتجربة حياتية، وسياسية مريرة.

لقد شكّلت محطات حياة "بطاو"، بدءًا من وعيه القومي المبكر مرورًا بتجربة الاعتقال، والسجن المظلمة، وصولًا إلى اصطدامه بتبدد الأحلام الوطنية، وانحراف مسارات التحرر، وكذلك قدوم الشيب معينًا لا ينضب لمشاعر الغربة، والرفض، والتمرد، فلم يغترب الشاعر عن مكانه فحسب، بل اغترب عن زمنه وواقعه، وعاش مشاعر الاغتراب النفسي، وقد حوَّل هذا الانكسار إلى طاقة إبداعية خلاقة. ومن هنا تأتي هذه الدراسة؛ لتسليط الضوء على تجليات ظاهرة الاغتراب الذاتي بأنماطها المتعددة في نتاجه الشعري محاولةً استنطاق نصوصه لكشف قدرة الشاعر على تحول ألمه الخاص، وعزلته إلى تجربة إنسانية، وجمالية تقاوم النسيان.

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة هذا البحث حول التساؤل الرئيس الآتي: كيف تجلى مفهوم الاغتراب الذاتي في شعر عبد الحميد بطاو؟ وما هي أبرز أسبابه، وأنواعه؟

ويتفرع عن هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية:

أ/ ما الجذور التاريخية، والنفسية لظاهرة الاغتراب في الشعر العربي؟

ب/ كيف انعكست تجربة السجن، والقمع السياسي على ذات الشاعر؟

جـ/ ما الأبعاد الدلالية، والفنية لاغتراب الذات، والموت، واغتراب المشيب في قصائده؟

أسباب اختيار البحث:

جاء اختيار موضوع (**الاغتراب الذاتي في شعر عبد الحميد بطاو**) بناءً على الدوافع الآتية:

1- ريادة عبد الحميد بطاو في المشهد الثقافي الليبي، والعربي، في مقابل قلة الدراسات النقدية الأكاديمية، التي تناولت الاغتراب في نتاجه الشعري، وهذا استدعى تسليط الضوء على تجربته.
2- الحضور الكثيف لثيمة "الاغتراب"، وتنوع أنماطها، فهي العصب الرئيس، والمحرك الأساسي لقصائد الشاعر.
3- تُعد قصائده وثيقة تاريخية، ونفسية تعكس تحولات المجتمع في حقبة سياسية حساسة، وتجسد مرارة تجربة السجن، وخيبات الأمل الوطنية.
4- ملامسة موضوع الاغتراب لواقع الإنسان العربي المعاصر، وأزماته الوجودية المستمرة.
5- الإعجاب بقدرة الشاعر الفائقة على تحويل ألمه الفردي إلى ملحمة إنسانية تمزج ببراعة بين الحزن العميق، والتمرد الشجاع.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على التجربة الاغترابية لشاعر ليبي لم تتطرق إليها الدراسات النقدية حول الشاعر، كما أن البحث يوثق رحلة سياسية، واجتماعية مهمة في ليبيا، والوطن العربي من خلال عدسة الشعر مبرزًا كيفية يتحول النص الشعري إلى وثيقة نفسية، وتاريخية تقاوم الاستلاب.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:
أ/ تتبع مفهوم الاغتراب لغةً، واصطلاحًا، وتطوره في الشعر العربي.
ب/ استكشاف العوامل السياسية، والاجتماعية، والنفسية، التي شكلت وعي الشاعر عبد الحميد بطاو.
ج/ رصد، وتحليل أنماط اغتراب الذات المتعددة في دواوين الشاعر (الحزن، والتعلق، الرفض والتمرد، الموت، الاغتراب الشيبي).
د/ إبراز الخصائص الفنية، والجمالية، التي وظفها الشاعر للتعبير عن غربته.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة هذا الموضوع الاعتماد على المنهج التكاملي، حيث يزاوج البحث بين:
المنهج التاريخي، والمنهج الاجتماعي؛ لربط نصوص الشاعر ببيئته، وظروفه السياسية، وتجربة الاعتقال.
المنهج النفسي؛ لتحليل انفعالات الشاعر الداخليةكالحزن، والقلق، والتمرد.
المنهج الوصفي التحليلي؛ لاستنطاق النصوص الشعرية، وتحليل دلالاتها، ورموزها الفنية.

حدود البحث:

تقتصر هذه الدراسة على الحدود الآتية:
أ/ **الحدود الموضوعية:** تقتصر الدراسة على تتبع ظاهرة "الاغتراب الذاتي" وتحليل أنماطها المتعددة (الحزن والقلق، الرفض والتمرد، الموت كحال اغترابية، والاغتراب الشيبي) في التجربة الشعرية لعبد الحميد بطاو.
ب/ **الحدود الزمانية:** تغطي الدراسة المرحلة الزمنية التي أُنتجت فيها قصائد الشاعر (النصف الثاني من القرن العشرين، وبدايات القرن الحادي والعشرين)، وهي حقبة اتسمت بتحولات سياسية، واجتماعية حادة في ليبيا، والوطن العربي.
جـ/ **الحدود المكانية:** ترتبط الدراسة بالبيئة الليبية عموماً، ومدينة "درنة" خصوصاً، بوصفها الفضاء المكاني، والاجتماعي، الذي شكّل وعي الشاعر، وعمّق إحساسه بالاغتراب.

د/ **حدود العينة (المجال التطبيقي):** تقتصر الدراسة التطبيقية على نصوص مختارة من دواوين الشاعر عبد الحميد بطاو، وقصائده مثل: (مدخل نحو الآتي، انتكاسة وجع/ نسيان/ من يوميات ثور الساقية/ مات نزار/ إلى المكابرة) بوصفها النماذج الأكثر تمثيلاً لظاهرة الاغتراب.

خطة البحث:

التمهيد: مقاربات في مفهوم الاغتراب، وتجربة الشاعر عبد الحميد بطاو.

اغتراب الذات: وقد انقسم إلى:

أ/ الحزن والقلق.

ب/ الرفض والتمرد.

ج/ الموت كحال اغترابية.

د/ الاغتراب الشيبي (صراع الذات والزمن).

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد: مقاربات في مفهوم الاغتراب، وتجربة الشاعر عبد الحميد بطاو:

يُعدّ الاغتراب من أبرز المفاهيم الوجودية التي شغلت الفكر الإنساني، لا سيما حين يعاني الفرد من انفصال داخلي بين قناعاته، والواقع الذي يفرض عليه أمورًا تتنافى مع طبيعته؛ ولأن الشعر هو المرآة العاكسة لروح الإنسان، فقد تجلى هذا المفهوم في القصيدة العربية عبر عصورها المختلفة مثل صوت احتجاجي يرفض الاستلاب. يهدف هذا التمهيد إلى تأصيل مفهوم الاغتراب لغةً، واصطلاحاً، وتتبع جذوره باقتضاب في الشعر العربي، وصولاً إلى تسليط الضوء على سيرة الشاعر الليبي عبد الحميد بطاو، واستجلاء البواعث، التي شكلت ظاهرة الاغتراب في نتاجه الشعري.

أولاً: مفهوم الاغتراب (لغةً واصطلاحاً):

يعود جذر الكلمة (غَرَبَ) في المعاجم العربية إلى دلالات البُعد، والتنحي؛ فقد أورد ابن منظور في معجمه أن الغربة تعني: ((الذهاب والتنحي عن الناس... والغربة، والغرب: النوى والبعد، ورجل غريب: بعيد عن وطنه)) (ابن منظور، د.ت، ص 638- 639)، فالدلالة اللغوية تدور في فلك الانفصال المكاني، والابتعاد عن المألوف، أما اصطلاحًا، فقد تجاوز المفهوم دلالته المكانية البسيطة؛ ليكتسب أبعادًا فلسفية، ونفسية واجتماعية معقدة، ورغم تعدد تعريفاته بتعدد المدارس، يمكن القول إن الاغتراب هو حال نفسية، واجتماعية تهيمن على الفرد، وتجعله يشعر بالغربة، والانفصال عن واقعه الاجتماعي، أو حتى عن ذاته (التميمي، 2017م)، نتيجة ظروف قاهرة تفقده الشعور بالانتماء، والانسجام.

ثانيًا: جذور الاغتراب في الشعر العربي (لمحة تاريخية):

لم يكن الاغتراب طارئًا على الشعر العربي، بل رافقه منذ نشأته متخذًا أشكالاً تتناسب مع طبيعة كل مرحلة تاريخية، ففي البدايات الأولى برز الاغتراب المكاني، والنفسي نتيجة قسوة الصحراء، والنزاعات القبلية، وتجلى ذلك بوضوح في ظاهرة "الوقوف على الأطلال"، وفي تمرد بعض الشعراء مثل طرفة بن العبد، أو معاناة النبذ الاجتماعي كما عند عنترة بن شداد؛ بسبب لونه وعبوديته (الفلاحي، 2013)، ومع تعقد الحياة، وتطورها لاحقًا اتسعت دواعي الاغتراب؛ لتشمل الجوانب السياسية، والاجتماعية، فظهر اغتراب التمرد، والهروب من السلطة كما في شعر الصعاليك، ومالك بن الريب، والاغتراب المكاني، والسياسي مثل حنين عبد الرحمن الداخل لوطنه الشام، وهو بالأندلس، وصولاً إلى الاغتراب الطبقي، والروحي، الذي جسده أبو العتاهية في شكواه من الفقر، وتأمله في الموت، وأما الاغتراب في الشعر العربي الحديث فيعد من أبرز الظواهر الأدبية؛ إذ كانت نتيجة تحولات كبرى عاشها الإنسان العربي، فالاستعمار، وفقدان الذات، وتوالي الانكسارات السياسية، إضافة إلى الصراعات الداخلية في مواجهة الواقع السيئ؛ من فقرٍ، وقمع حريات، وتدني المستوى المعيشي، كلها أسباب أدت إلى وجود ظاهرة الاغتراب، وأما في

العصر الحديث، فقد تضخم هذا الشعور نتيجة الاحتلال، والتشظي السياسي، وتعقيدات المدن الحديثة؛ حيث عبّر الشعراء، مثل جبران خليل جبران عن غربتهم الروحية باللجوء إلى الطبيعة هربًا من قسوة المجتمع؛ لتصبح الغربة ثيمة مركزية تعبر عن القلق، والرفض، والحنين .

ثالثًا: الشاعر عبد الحميد بطاو (سيرة وتجربة):

ولد الشاعر عبد الحميد بطاو بمدينة درنة عام 1942م، وكافح في طفولته بين العمل، والدراسة، وتفتح إدراكه مبكرًا؛ لينضم إلى حركة القوميين العرب عام 1964م، وهو ما أدى إلى اعتقاله، وسجنه، وقد شكّل السجن نقطة تحول جذرية في مسيرته، ففيه اكتشف شعر التفعيلة عبر ديوان "أنشودة المطر" للسياب، فأثرى ثقافته بالاطلاع الواسع، وشارك في العديد من المهرجانات العربية، حتى تُوج كرائد للمسرح الشعري في ليبيا عام 1992م، ومن أبرز أعماله:

- ديوان "تراكم الأمور الصعبة": ديوان شعر، طبع على حسابه الخاص بمطبعة البكوش بدرنة عام 1976م، وصدر في طبعته الثانية عن المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، عام 1983م.
- "بكائية جالبة المطر": ديوان شعر، صدر عن المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، الجماهيرية، ط1، عام 1983م.
- "عندما صمت المغنى": ديوان شعر، صدر عن الدار العربية للكتاب، عام 1997م.
- "مرثية مرائية": ديوان شعر، صدر عن الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، عام 1998م.
- "أشجان هذا الزمان": ديوان شعر، مجلس الثقافة العام، سرت، الجماهيرية، د.ط، 2010م.

رابعًا: بواعث الاغتراب في شعر عبد الحميد بطاو:

لم يكن الاغتراب في شعر بطاو ترفًا فنيًا، بل كان نتاجًا؛ لتجربة قاسية تضافرت فيها عدة عوامل أبرزها معايشته فترة اتسمت بمصادرة الحريات، وتجربته المريرة في الاعتقال عام 1967م، الأمر الذي ولّد لديه شعورًا عميقًا بالظلم، ويُضاف إلى ذلك خيبة أمله الوطنية، واصطدامه بتحول الأنظمة، التي رفعت شعارات التحرر إلى أنظمة استبداد، وهذا خلق تناقضًا حادًا بين مبادئه السامية، والواقع المخيب للآمال، كما كان لارتباطه الوجداني بمدينته (درنة)، - التي عُرفت بطبيعتها المتمردة، والعصية- دور كبير في تشكيل وعيه الرافض، وتعميق إحساسه، حين اصطدمت روحه الثائرة بواقع الخنوع العام.(مصطفى، 2016م).

اغتراب الذات:

يُعدّ اغتراب الذات من أقسى، وأعمق أنماط الاغتراب؛ لأنه لا يتعلق بانفصال الإنسان عن مكان معين، أو محيط اجتماعي فحسب، بل هو تمزق داخلي، وانشطار يصيب الهوية ذاتها، فهو شعور الفرد بالانفصال عن نفسه، وعدم انسجامه مع الواقع المفروض عليه؛ حيث تغدو الذات غريبة عن نفسها، وتجد نفسها مجبرة على التعايش مع محيط ترفضه، ولا تنتمي إلى قيمه، فالإنسان منذ نشأته ((حمل بين جوفه ضروبًا من الإحساس بالغربة، حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الإحساس)) (الخشروم، 1982م، ص 14).

وفي السياق الشعري لا يُعد هذا الاغتراب الداخلي علامة انهزام، أو الاستسلام، بل على العكس تمامًا يظل هذا الشعور دليلاً قاطعًا على حيوية الذات، ويقظة الضمير، ورفضها التام للاستلاب، والذوبان في قوالب جاهزة (الخشروم، 1982م)، فالشاعر - بحكم حساسيته المفرطة- عندما يصطدم بواقع مشوه تتهاوى فيه القيم، وتُصادر فيه الحريات، يرتد إلى داخله، محولاً هذا الانكسار النفسي إلى طاقة إبداعية تبحث عن الخلاص، وتتأمل في جدوى الوجود.

وعند التأمل في التجربة الشعرية لعبد الحميد بطاو نجد أن اغتراب الذات يمثل حجر الزاوية في نصوصه، فقد أسهمت خيباته السياسية، وتجربة السجن القاسية، وانهيار الأحلام الوطنية، والقومية الكبرى في خلق هوة سحيقة بين ما يؤمن به من مبادئ سامية، وما يراه حقيقة على أرض الواقع من قمع، وتزييف، وهذا

التناقض الحاد جعله يعيش حالاً من النفي الداخلي؛ حيث تحولت القصيدة لديه إلى مرآة تعكس هذا التشظي، وملاذٍ يحتمي به من قسوة الخارج، ومحكمةٍ يُدين فيها زيف المرحلة.

وقد تجلى هذا الصراع الداخلي، واغتراب الذات في شعر عبد الحميد بطاو عبر مسارات شعورية متداخلة تعبر في بعضها عن وطأة الألم، والانكسار، وفي بعضها الآخر عن محاولة الانعتاق، والمواجهة، وينقسم اغتراب الذات في نتاجه الشعري إلى:

أ/ الحزن والقلق:

يعد الحزن، والقلق في شعر بطاو انعكاسًا لواقع قاهر يغيب فيه الانتماء، وتتلاشى فيه ملامح العدالة، فالحزن لديه ليس مجرد عاطفة بكائية عابرة، أو ندبٍ شخصي، بل هو موقف وجودي، وحال من الحداد المستمر على أحلامٍ وطنية أُجهضت، وقيمٍ إنسانية تهاوت، وأما القلق، فلا يتجلى الحزن في نصوصه بمظهر الضعف، أو الاستسلام، أوالهروب من المواجهة، بل هو دليل قاطع على يقظة الوعي بمرارة الواقع، إنه قلق المثقف الرائي، الذي يدرك حجم الخراب المحيط به، ويرفض الركون إلى الطمأنينة الزائفة.

ومن هنا يُعد هذا القلق كالشعاع الثابت لمشاعرنا الإنسانية، الذي يتولد من الصراع المرير ضد كل ما يحد من حرية الإنسان، ويصادر كرامته (الخشروم، 1982)، إنه ضريبة الوعي، التي يدفعها الشاعر حين يجد نفسه غريبًا، ومحاصرًا في وطنٍ تحول إلى سجن كبير، ونتيجة لهذا الصدام المستمر بين طموحات الروح المتمردة، وجدران الواقع الأصم، تصطبغ نفس الشاعر بالتمزق الداخلي، والانشطار النفسي.

غير أن بطاو لا يترك هذا التمزق يلتهمه في صمت، بل يحوله عبر حاسته الفنية المرهفة إلى معين لا ينضب، يغذي أدبه بالمرارة المأساوية (الخشروم، 1982)، فتصبح القصيدة لديه رئة يتنفس من خلالها، ومساحة يبوح فيها بوجعه الوجودي محاولاً ترتيب فوضى العالم من حوله بالكلمات، ويبرز هذا الشعور بوضوح، حين تتمثل حيرة الذات المغتربة، وتيهها، واحتراقها في دروب الحياة المعتمة، كما في قصيدة "مدخل نحو الآتي"؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 20):

عَفْواَ
تَشَابَكَتْ حَوْلِي الدّرُوب
وَاخْتَفَتْ عَنِي مَسَارِبُ الطُّرُق
وَهَا أَنَا لا زِلْتُ أَحْتَرِق

تجسد هذه الأسطر ذروة التيه الوجودي، فتفقد الذات بوصلتها الداخلية، وتغدو محاصرة في متاهة من الدروب المتشابكة، التي تعمق إحساسها بالانفصال التام عن الواقع، وانعدام الرؤية، ويتحول هذا الضياع المكاني إلى انعكاس مباشر للغربة النفسية، فالشاعر هنا لا يبحث عن طريق للعبور، بل عن مخرج من عزلته الخانقة، التي طمست ملامح ذاته، ويأتي فعل الاحتراق المستمر؛ ليؤكد أن اغتراب الذات ليس حالاً من السكون، أو العدم، بل هو استنزاف داخلي، وصراع مرير يلتهم الروح بوعيها الشقي دون أمل في الخلاص.

وفي خضم هذا الاحتراق الداخلي، لا تجد الذات المغتربة سلوتها في الاستسلام، بل تلجأ إلى استدعاء الرموز التراثية، التي قاست مرارة الرفض، والمحنة، فيستحضر الشاعر شخصية "الحلاج" كقناع فني، ورمز للتمرد، والاغتراب الروحي في قوله (بطاو، 2020م، ص 45):

يُهَاجِرُ الْحَلَاجُ فِي خَوَاطِرِي
كَنَغْمَةٍ مِنَ النُّشَازِ
فِي مَعْزُوفَةِ الأَرَقْ

يُظهر هذا المقطع تلاحمًا عميقًا بين الاغتراب الروحي، وما يفرزه من حزن، وقلق وجودي حاد؛ حيث يستدعي الشاعر شخصية "الحلاج" لا كرمز للتمرد فحسب، بل كمرآة تعكس قمة الغربة، والمأساة، فهجرة الحلاج داخل خواطر الشاعر تمثل نزيفًا داخليًا، وحزنًا دفينًا على حقيقةٍ تُصلب في واقع مزيف، وأمام هذا الخراب تتضخم حال الاغتراب؛ لتجعل من وعي الشاعر نغمة نشاز ترفض الانسجام مع محيطها الممسوخ،

ولا يقف هذا الانفصال عند حدود العزلة، بل يرتد إلى الداخل - ليولد قلقًا مزمنًا يتجلى- بوضوح في معزوفة الأرق، فالأرق هنا ليس مجرد أرق حيوي، بل هو المعادل الموضوعي للقلق المستمر، والنتيجة الحتمية لروحٍ مغتربة، ومثقلة بالحزن حُرمت طمأنينة الغفلة، وباتت أسيرة وعيها، الذي يرفض المساومة.

وفي مقابل رمز التمرد الذي يتجلى هنا في الحلاج تبرز السلطة القمعية بكل ثقلها التاريخي؛ لتقتحم عزلة الشاعر، وتصادر حريته الداخلية؛ إذ يستدعي شخصية الحجاج كرمز مطلق للطغيان، والاستبداد الذي لا يكتفي بمحاصرة الجسد، بل يداهم الفكر ذاته، مصورًا كيف يشل هذا القمع إرادة الذات المغتربة؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 45):

يُدَاهِمِ الْحَجَاجُ فِكْرَتِي
فَلا أَخَافُ
غَيْرَ أَنَّنِي يَشُلُّنِي الْقَلَق

يُبرز هذا المقطع مفارقة نفسية عميقة تتشابك فيها خيوط الاغتراب مع وطأة القلق الوجودي، فاستدعاء شخصية "الحجاج" كرمز مطلق للسلطة القمعية لا يأتي هنا لتهديد الجسد، بل لاقتحام الحيز الداخلي، ومداهمة الفكرة في مهدها، وأمام هذا الانتهاك السافر لحرمة الذات، يعلن الشاعر جراءته أمام بطش السلطة، غير أنه يقع -في الوقت ذاته- فريسةً لقلقٍ عاصف يشل إرادته، وهذا الشلل لا ينبع من الجبن، بل يتولد من العجز الوجودي أمام واقع مستبد يصادر القدرة على الفعل، والتغيير، وبذلك يتعمق إحساس الشاعر بالاغتراب، حين يدرك أن سيف الاستبداد لا يكتفي بقطع الأعناق، بل يمتد ليغتال الطمأنينة الداخلية، تاركًا الذات أسيرةً لعجزها، ومغتربةً في وطنٍ تحول إلى سجن يخنق الأفكار، ويغذي القلق المزمن.

ولأن القلق قد أحكم قبضته على روح الشاعر، فإن حال الاغتراب تتجاوز الواقع الخارجي؛ لتصيب أداة المقاومة الوحيدة، والخلاص، وهي الكتابة، فالكلمة التي يُفترض أن تكون متنفسًا للذات تتحول إلى عبء يضاعف من إحساسه بالاختناق؛ حيث يعبر عن عجزه عن البوح الكامل، وتمزقه أمام الورق قائلاً (بطاو، 2020م، ص 45):

أَكْتُبُ مَا أَكْتُبُهُ فِي لَحَظَاتِ الَّصحْوِ
ثُمَّ فَجْأَةً
أَهُمُّ أَنْ أُفَرِّقَ الْوَرَق
عَفْواً
لَعَلّنِي نَزِقْ
وَلَيْسَ هَذَا
كُلُّ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَهُ
لَكِنّنِي
أَحِسُّ أَنّي أَخْتَنِق

في هذا المقطع يظهر الشاعر ذروة التلاحم المأساوي بين الاغتراب النفسي، والقلق الوجودي؛ حيث تتحول عملية الكتابة من أداة خلاص إلى ساحة صراع داخلي، فمحاولة البوح في **"لحظات الصحو"** تبدو مسعى يائسًا لكسر طوق العزلة، غير أن هذا المسعى سرعان ما يجهضه قلقٌ عاصف يدفع الشاعر إلى تمزيق أوراقه في لحظة انفعال، وتوتر، وهذا التردد لا يعكس غضبًا عابرًا، بل يترجم قلقًا مزمنًا يفقد الذات ثقتها بجدوى التعبير، وأمام هذا العجز عن البوح الكامل تتسع فجوة الاغتراب؛ إذ يدرك الشاعر أن لغته قاصرة عن استيعاب حجم مأساته، وأن الواقع المحيط أضيق من أن يتسع لصدق كلمته، وتصل هذه المعاناة المزدوجة إلى ذروتها في الشعور بالاختناق؛ فهذا الاختناق هو النتيجة الحتمية لارتداد الألم إلى الداخل؛ حيث تتآزر وطأة القلق مع قسوة الاغتراب؛ لتفصل الشاعر عن نصه الذي يكتبه تاركةً إياه سجينًا في صمته، وعجزه الوجودي.

وتستمر رحلة الشاعر في استغوار ذاته المغتربة في قصيدة (انتكاسة وجع)، التي تُعد أنموذجًا شعريًا مكثفًا لتجربة الإنسان المعاصر مع الحزن، والقلق، ففي هذه القصيدة لا ينبع الألم من حدث طارئ، بل من تجدد الأحزان القديمة، التي تجعل الروح متوجسة من غدها؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 62):

لَيْسَ ثَمّةَ مَا يُوْجِعُ الْقَلْبَ
غَيْرَ انْتِكَاسِ الْجِرَاحِ الْقَدِيمَة
حِينَمَا تَتَفَتّقُ نَازِفَةً
لَحْظَةَ الْحُزْنِ
مِنْ هَوْلِ ذِكْرَى أَلِيمَة
لَيْسَ ثَمّةَ مَا يُفْزِعُ الرُّوحَ
غَيْرَ الّتَوَجّسِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُحِيطُ بِهَا
وَهَيَ تَهْبِطُ رَاعِشَةً نَحْوَ قَاعِ الْهَزِيمة

يضع الشاعر ذاته في الأسطر السابقة بين فكي كماشة زمنية، ونفسية خانقة، فمن جهة يبرز القلق في استحضار الماضي عبر "انتكاس الجراح القديمة" ،التي ترفض الالتئام؛ لتتفتق نازفةً، وتُبقي الذات في حال استنزاف مستمر، ومن جهة أخرى يتضخم هذا القلق؛ ليتحول إلى فزعٍ من الحاضر، والمستقبل متجليًا في التوجس من كل شيء يحيط بها، وهذا التوجس الشامل ليس مجرد خوفٍ عابر، بل يترجم حالاً من الاغتراب المطلق؛ إذ تفقد الذات شعورها بالأمان، والانتماء تجاه محيطها؛ لتصبح غريبة، ومحاصرة في واقع تراه معاديًا، ومخيفًا، ونتيجةً لهذا التمزق القاسي بين ألم الذاكرة، ورعب الآتي تفقد الروح توازنها، وتنزل الحضيض مثقلة بالاغتراب، فتنكشف الذات أمام قلقها المزمن تاركةً إياها وحيدةً، ومجردةً من كل طمأنينة في مواجهة فزعها الوجودي.

وأمام هذه الهزيمة الداخلية، تجد الذات نفسها مجبرة على التكيف مع واقع اجتماعي، وسياسي زائف، فتلجأ إلى تقمص أدوار لا تشبهها، وهو ما يعمق من اغترابها عن حقيقتها؛ إذ يقول (بطاو، 2020م، ص 62):

كُلُّنَا لَمْ نَزَلْ مِثْلَمَا كُنْتَ تَعْهَدَنَا
نَتَبَادَلُ أَدْوَارَنَا
وَنُغَيّرُ أَلْوَانَنَا
وَنُجَهّزُ فِي شَبَقٍ نَرْجَسِي
مَلَامِحَنَا
لِتَكُونَ مُلَائِمَةً لِحُضُورِ الْوَلِيمَة

يبرز هذا المقطع الضوء على أعمق تجليات الاغتراب الذاتي الممزوج بالقلق؛ حيث يتجرع الشاعر مرارة حال النفاق الجماعي وتبديل الأدوار، وتغيير الألوان، وهذا السلوك هو أقسى درجات الاغتراب الطوعي؛ إذ تتخلى الذات عن جوهرها الأصيل، وتطمس هويتها عمدًا من أجل التكيف مع واقع مشوه، ولا ينفصل هذا التزييف المستمر عن وطأة القلق الخفي، الذي ينهش أفراد هذا المجتمع، فالاستعداد المحموم بشبق نرجسي لارتداء الأقنعة لا يعكس ثقةً بالنفس، بل يفضح قلقًا عميقًا من التهميش، وتوجسًا مرضيًا من الإقصاء عن "الوليمة"، التي ترمز إلى تقاسم المغانم الانتهازية، وأمام هذا المشهد العبثي يتضاعف قلق الشاعر، واغترابه عن محيطه، حين يرى كيفية تحول الإنسان تحت ضغط القلق، واللهاث خلف المصلحة إلى كائن ممسوخ يمارس اغترابه برضا تام متخليًا عن إنسانيته؛ ليصبح مجرد ترسٍ زائف في آلة مجتمعية تحكمها المنفعة.

وللتعبير عن حال العجز، والشلل التي أصابت طموحات جيله، يستدعي الشاعر رمزي "الريح"، و"الخيول"؛ ليصور كيفية تحول طاقات التغيير إلى حال من الجمود، والموت البطيء، قائلاً (بطاو، 2020م، ص 63):

فالرِّيَاحُ
الَّتِي تَمْسَحُ الآنَ كُلَّ الَّذِي حَوْلَنَا
لَم يَزَلْ عَصْفُهَا عَابِثاً مَا انْتَهَت
والْخُيولُ
الَّتِي دَخَلَتْ حَلْبَات السِّبَاق
وَقَدْ أَسْرَجَتْ
ثُمَّ فِي لَحْظَةِ الانْطِلاقِ كَبَتْ
هَا هِيَ الآنَ
تَجْلِسُ فِي الظِّلِ مَشْلُولَة
تَمْلُكُ وَلَيْسَ الَّتَمَلُّكُ بِالْعَيْنِ
وَهِي تَعَلَّك مِنْ غَيْظِهَا
لَجَمَ الصَّمْت
حَتَّى يُفَاجِئَهَا الْمَوْت.. مِثْلَك
وهِيَ تُغَالِبُ مِحْنَتِهَا عَبْرَ غُرْبَتِهَا
مثلك
وهي تغالب محنتها
عبر غربتها
وَكَآبَتِهَا الْمُسْتَدِيمَة

يشكل هذا المقطع لوحة مأساوية تمثل ذروة الاغتراب الذاتي الممزوج بالقلق والحزن؛ حيث يوظف الشاعر رمزي "الرياح"، و"الخيول"؛ ليعكس الانكسار الداخلي لجيله، فالرياح فقدت دلالتها على التغيير الإيجابي؛ لتصبح قوة "ماسخة"، وعابثة تثير قلقًا وجوديًا أمام واقع مشوه يفقد ملامحه، أما الخيول- التي ترمز إلى طموحات، وعنفوان الشباب- فقد كبت في لحظة الانطلاق، وهو ما يولد حزنًا عميقًا على أحلام أُجهضت مبكرًا، وتصل حال الاغتراب إلى أقصاها حين تُصاب هذه الخيول بالشلل، وتتُكره على الصمت؛ لتعكس حال الذات الشاعرة، التي تلوك غيظها، وعجزها في الظل، وعبر التماهي المباشر في قوله: (مثلك)، يؤكد الشاعر أن الغربة، والكآبة المستديمة لم تعودا مجرد انفعال طارئ، بل تحولتا إلى قدر حتمي، ومصير روح تغالب كربتها في مجتمع صادر إرادتها، وحريتها.

وتصل القصيدة إلى ذروتها المأساوية، حين يلتفت الشاعر إلى نزيفه الداخلي الصامت، مستوعبًا كل تفاصيل المدينة في قلبه المنهك، ومكتشفًا ضياع القيم الحقيقية، فيختتم وجعه بالقول: (بطاو، 2020م، ص64)

لَيْسَ ثَمّةَ مَا يَقْتُلُ الْقَلْبَ
غَيْرُ الَّنزِيفِ الْذِي لا يَرَاهُ أَحَد
وَانْقِطَاعُ الْمَدَد
وَاحتِواءُ الْبُيوتِ
الْمَقَاهِي
الَّشوَارِعِ
فِي الْقَلْبِ
وَالْوُقُوفُ عَلَى حَافَةِ الَّسيْف
وَالَّرَكْضُ فَوْقَ الْمَحَارِقِ
إِذْ تَتَقد
وَاكتِشَافُكَ

بَعْدَ فَوَاتِ الأوَانِ
بِأنَّ الَّذِي يَنْفَعُ النَّاسَ ضَاعَ
وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الزَّبَد

يظهر هذا المقطع الشعري مثل وثيقة نفسية مكثفة تلخص مأساة اغتراب الذات، والمكان؛ حيث يتشبك الحزن العميق مع القلق الوجودي الحاد، فيبدأ الشاعر بتصوير "النزيف الخفي"، وانقطاع "المدد"؛ ليعبر عن عزلة الذات، وحزنها الصامت، الذي لا يشاركه فيه أحد، وهو ما يعمق إحساسه بالغربة المطلقة، ويتجاوز الاغتراب هنا حدود الفرد؛ ليتسع للوطن، فيحمل الشاعر تفاصيل مدينته (البيوت، المقاهي، الشوارع) في قلبه المنهك، محولاً المكان الخارجي المفقود إلى عبء داخلي يضاعف من قلقه، ويتجلى هذا القلق في أقسى صوره عبر "الوقوف على حافة السيف"، و"الركض فوق المحارق"، وهي استعارات تصريحية تعكس التهديد المستمر، وانعدام الطمأنينة في واقع مأزوم، وتصل الفجيعة إلى ذروتها باكتشاف متأخر، مدعوم بتناص قرآني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (القرآن الكريم، الرعد: 17)، والذي يؤكد ضياع الجوهر الأصيل، وبقاء "الزبد" الزائف؛ ليكون هذا الإدراك المأساوي إعلانًا عن موت المعنى، وهذا يجعل النزيف الداخلي أشد فتكًا من الموت الجسدي، ويترك الذات غارقة في حزنها، واغترابها الأبدي.

ب/ الرفض والتمرد:

يرتبط فن الشعر بظاهرة الرفض ارتباطًا شديدًا، فهو ذو صلة وثيقة بها، ولا يكون الدارس مبالغاً إذا رأى أن الشعر ـ منذ نشأته ـ لم يقترن في مضامينه بظاهرة من الظواهر قدر اقترانه بالرفض، بل إن شعرنا المعاصر أشد ارتباطًا، واقترانًا بهذه الظاهرة؛ بسبب ما يكتنف هذا العصر من هموم، وتناقضات تكاد تشمل كل الميادين، والمجالات؛ حيث يجد الشعراء أنفسهم أمام واقعهم الاجتماعي المعيشي، وقد تقاذفتهم هموم الحياة اليومية، فينزعون إلى الإعراب عن آمالهم، وآلامهم، بكل غضب، وسخط، وتكون إبداعاتهم الشعرية متأججة بنيران الثورة، والرفض، إذًا فإن اقتران الشعر بالرفض ميزة ينفرد بها الشعر، أكثر من سواه من الفنون الأدبية الأخرى(محمد، 2008م).

والجدير بالذكر أن لفظ (التمرد) يكاد يشارك الرفض في مدلوله اللغوي، والحقيقة أن هناك فروقًا تفسيرية، واصطلاحية شاسعة بينهما، ولا يمكن إغفالها في هذا المقام، حتى يزداد مفهوم الرفض وضوحًا، وإشراقًا، فمن معاني التمرد الرفض الكامل للوضع الإنساني، وهذا ما لم نجد له تأويلاً في الرفض، الذي يستند إلى القبول من جهة، ويطمح إلى التغيير من جهةٍ أخرى، مثل التغيير من سيء إلى حسن، من حسن إلى أحسن، وفق عقيدة دينية، أو اتجاه سياسي، أو ما كان من هذا القبيل(محمد، 2008م) .

وقد رافق هذا النزوع المتمرد الشعر العربي القديم مثل تمرد الشنفرى، وانعزاله عن قبيلته، وصولاً إلى العصر الحديث؛ حيث تحول الرفض إلى أسلوب حياة لمواجهة الاستبداد، وفي تجربة الشاعر عبد الحميد بطاو، يمتزج الرفض مع التمرد ليشكلا معًا الوجه الآخر لاغتراب الذات، فالشاعر لا يكتفي بالانطواء، والحزن، بل يحول اغترابه إلى طاقة غضب متدرج في تمرده عبر ثلاثة أطوار شعرية:

تتجلى أولى ملامح هذا الرفض في قصيدة "نسيان"؛ حيث يعتمد الشاعر أسلوب الحوار القصصي، والمفارقة الساخرة؛ لتعرية تزييف الوعي، فيصور بطاو مشهدًا لرجل يتباكى على حقوق الشعب المسلوبة مدعيًا الغيرة على لقمة عيش الكادحين، وذلك في قوله (بطاو، 2020م، ص 223):

جَاءَنِي
يَتَبَاكَى عَلَى الشَّعْب
مِنْ سَارِقِيه
وهو يهتز من غضب
وَيُلوّحُ مُنْفَعِلاً بِيَدَيه
قَالَ لِي:

هَلْ تطيقُ الْسكُوت
عَلَى هؤُلاءِ الْجمَاعة..؟
بَعْدَ أَنْ سَخَّرُوا
كُلَّ شيءٍ لِصَالِحهُم
سَرَقُوا لُقْمَةَ الْعَيْشِ مِنْ فَمِنَا
جَعَلُوْنَا نُعَانِي الْمَجاعَةَ
كَانَ لابُدَّ لِلشَّعْبِ
أَنْ يرْفُضَ الْظُلْمِ
أَنْ يَفْضَحَ الْمُستغل
بِكُلِّ شَجَاعة

يُجسد هذا المقطع شكلاً أعمق من أشكال الرفض والتمرد؛ حيث لا يوجه الشاعر غضبه نحو السلطة القمعية المباشرة فحسب، بل يتمرد على المعارض الزائف، والمتاجرة بآلام الكادحين، وعبر توظيف الحوار القصصي، والمفارقة الساخرة، يرفض بطاو خداع الأقنعة الثورية الكاذبة، معريًا الانتهازية السياسية المتمثلة في شخصية المتباكي، الذي يتقمص دور الثائر منفعلاً، ومحرضًا على كسر الصمت، وفضح المستغل، فتمرد الشاعر هنا ينصب على تزييف الوعي، والمسرحيات العبثية، التي تُتخذ فيها شعارات الجوع، والشجاعة مطية للوصول إلى السلطة، وهذا الرفض المزدوج يؤكد أن التمرد الحقيقي لدى الشاعر لا يقتصر على مواجهة الجلاد، بل يمتد لتعرية النفاق السياسي، والسقوط الأخلاقي لمن يدّعون النضال، رافضًا كل أشكال الاستغلال، التي تحول مأساة الشعب إلى مجرد سلم للعبور نحو المغانم.

وتكتمل فصول هذه المسرحية العبثية حين تدور الأيام، ويصل هذا الانتهازي إلى سدة السلطة ومغانمها؛ لتسقط أقنعة النضال الزائفة، وتتجلى بشاعة التحول، وأمام هذا السقوط الأخلاقي ينتقل الشاعر من مرحلة كشف الزيف إلى حوار المواجهة المباشرة، والتمرد اللغوي الصادم؛ حيث يقول: (بطاو، 2020م، ص 223 - 224):

بَعْدَ حِين
أَتَيْتُ لِهَذَا الذِي كَانَ يَبْكِي
وَقَدْ صَارَ فِي مَوْقِعٍ
فِيه مَغْنَمَةٌ وَاستطَاعَة
قُلْتُ:
كَيْفَ تَرَى الْوَضْعَ..؟
كَيْفَ تُرَاكَ تُعَالِجُ
مَا كُنْتَ تَذْكُرُهُ مِنْ بَشَاعَة..؟
قَالَ لِي
وَهُوَ يَهْتَزُّ مِنْ طَرَبٍ
ويَهُشُّ عَلى وَجْهِهِ
بَطَراً بِيَدَيْه:
إِنَّ مَا كُنْتُ أَحْسبَهُ وَاقِعاً
لَيْسَ ثَمّةَ أي دَلِيلٍ عَلَيْهِ
وَعَلى كُلِّ حَالٍ
وَكي تَسْتَقِيمُ الأمُورِ
وَتَمْضِي الْمَصَالِحُ بَيْنَ الْجَمِيع
على الشعب

أنْ يُحْسِنَ الَّظنَ فِي حَاكِمِيه
قُلْتُ: (حيه)

يصل الرفض والتمرد في هذا المقطع إلى ذروته القصصية، واللغوية؛ حيث يمارس الشاعر فعل المواجهة المباشرة مع السلطة المستحدثة، التي تنكرت لأخلاقها بمجرد وصولها إلى "المغنمة"، ويتجلى تمرد الشاعر في مساءلته الجريئة للمسؤول الانتهازي كاشفًا السقوط الأخلاقي لخطاب السلطة، الذي يبرر الفساد، ويطالب المقهورين بحسن الظن بجلاديهم، وأمام هذا العبث، وتزييف الحقائق، لا يلجأ الشاعر إلى مجاراة السياسي في لغته الفصيحة المخادعة، بل يعلن تمرده الجذري عبر قطيعة لغوية صادمة مستعملاً اللفظة العامية الليبية (حيه)، فهذه اللفظة ليست محض تعجب، واستنكار، بل هي صرخة رفض قاطعة، وصفعة لغوية تهشم قناع النفاق الرسمي؛ لتؤكد انحياز الشاعر المطلق إلى صدق الهامش الشعبي، ورفضه التام للاندماج، أو التصالح مع واقع سياسي ممسوخ لا يتقن سوى الخداع.

ولا يتوقف الرفض عند حدود الكلمة، والموقف السياسي، بل يمتد مواجهًا أقسى تجارب القهر داخل أقبية السجون، ففي قصيدة "من يوميات ثور الساقية"، التي يحمل عنوانها دلالة رمزية قاسية على الدوران العبثي، والاستلاب يصور الشاعر محاولة الجلادين كسر إرادته، حين يقول (بطاو، 2020م، ص 161):

كُلُّ يَوْمٍ يَجيئونَ بِي
يَعْصِبونَ عُيونِي
يَشُدُّون حَولَ ضُلُوعِي الْحِبَالَ
وَتَجْرَحُ جِلْدِي الَّسِيَاط
فَأَمْشِي
وَأَمْشِي
ولا أَسْتَبِينَ مَلامَحَ هَذَا الَّطرِيق
كُلُّ يَوْمٍ يَقُولونَ لِي:
إنَّه قَدَرِي وَقَضَائِي
ولابُدَّ لِي
أَنْ أُعَوِّدَ نَفْسِي عَلَى الَّصبْرِ
كَي أَتَحَمَّلَ أَكْثَرَ مَمَا أَطِيق

يبلغ الاغتراب في هذا المقطع أقصى درجاته الاستلابية؛ حيث يرتكب الساسة أبشع أنواع التشييء بتجريد الشاعر من إنسانيته، وتحويله إلى مجرد "ثور ساقية" معصوب العينين يدور في متاهة الألم، ويزداد هذا الاغتراب مكانيًا، وجسديًا من خلال العتمة المفروضة في قوله: (ولا أستبين ملامح هذا الطريق)، واستباحة الجسد بالسياط؛ لتُعزل الذات تمامًا عن محيطها، وفي مواجهة هذا المحو المتعمد، ينبثق تمرد الشاعر الجذري، فهو لا يكتفي بمقاومة الألم المادي، بل يتمرد فكريًا، وروحيًا على محاولات الجلادين تزييف وعيه، وجعل ظلمهم له قضاءً، وقدرًا، ورفض الشاعر الانصياع لثقافة الصبر السلبي من خلال إضفاء طابع غيبي على الاستبداد البشري، يمثل إعلان عصيان وجودي صريح، فرغم نجاح السجان في تقييد الجسد، وتغريبه تفشل محاولاته في تدجين الروح؛ ليبقى وعي الشاعر بحريته الداخلية أقوى أشكال الرفض، والتمرد على قهر السجون.

وأمام هذا الانسداد التاريخي، والقمع المتعمد تتحول حال الرفض الداخلي إلى انفجار ثوري، ففي قصيدة "صرخة" يخلع الشاعر كل أقنعته، موجهًا أوامره الحاسمة إلى تحطيم جدران الخوف؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 109 - 110):

سَيِدَتِي
إنّي قَرَرْتُ
سَأُمَزِّقُ هَذِى الليلَة

كُلَّ كَوالِيسك
كُلَّ سَتَائِرك
وَأُسْفِرُ عَنْ وَجهِي
الْخَالِي مِنْ كُلِّ الْخِدَعِ التَّمْثِيلِية
أَصْعَدُ فَوْقَ الْمَسْرَحِ
أَصْرُخُ فِي جُمْهُورِكْ مِلء الَّصوت
لا أحد منكم يخفى رأسه في الظلمة
يَقْنَعُ بِالأَحْلام
لا أَحَد يَنَام
اهتَزُّوا
هُزّوا الْمَسْرَحَ
وارمُوا الَّزيفَ الْفَاضِحِ بِكَرَاسِيكم
وانفَجِرُوا
لا تَنْتَظِرُوا
فَالْمَرء يَمُوتُ
يَمُوتُ
يَمُوت
وَالْمَوتُ عَلَى مِقْصَلَةِ الْجَلادِ شِهَادَة

يبين هذا المقطع لحظة الانفجار العظيم، والانعتاق الكامل من عقال غربته؛ حيث ينتقل الشاعر من مربع الصمت، والعزلة إلى منصة المواجهة العلنية من خلال توظيفه لاستعارة "المسرح"، فيعلن تمرده الجذري على الواقع السياسي المزيف، مقررًا تمزيق ستائر الخداع، وإسقاط الأقنعة، التي فرضتها السلطة؛ لتغريب الإنسان عن حقيقته، وصعوده إلى المسرح بوجهٍ خالٍ من "الخدع التمثيلية" هو استرداد لذاته المسلوبة، ورفض قاطع للعب دور الضحية، أو المتفرج، ولا يكتفي الشاعر بخلاصه الفردي، بل يوجه نداءً تحريضيًا صاخبًا للجماهير عبر أفعال الأمر المتلاحقة (اهتزوا، هزوا، ارموا، انفجروا)؛ لكسر حال الخنوع، والرضا بالوهم ، ويتوج هذا التمرد بانتصاره الفلسفي على الخوف من الفناء، فبإدراكه أن الموت الحيوي حتمية تتكرر (يموت/ يموت/ يموت)، يعيد صياغة مفهوم الموت؛ ليجعل من الارتقاء على مقصلة الجلاد شهادةً حية، محولاً النهاية الجسدية إلى انتصار أبدي للذات الحرة على آلة القمع، والاستلاب.

ج/ الموت كحال اغترابية:

ارتبط الموت في ذهن الإنسان قديمًا، وحديثًا باللغز الأعظم، وفلسفة الوجود، والعدم، فهو ليس مجرد توقف للنبض، بل هو الحد الفاصل، الذي يضع الإنسان أمام هشاشته، ويثير في أعماقه أسئلة القلق، والمصير، وإن كان الموت قد شغل مساحة واسعة في الشعر العربي منذ القدم، فإنه تجلى غالبًا في إطار الفجيعة الشخصية، واللوعة كما في مراثي الخنساء المفجعة، أو هو حقيقة حتمية تدعو إلى الاتعاظ، والزهد كما في تأملات أبي العتاهية في تلك العصور، كان الموت يُفهم، ويُتقبل ضمن سياقه الطبيعي، أو الديني فهو قدر حيوي لا مفر منه.

أما في الشعر العربي المعاصر، وفي ظل التشظي الحضاري، والسياسي، فقد اتخذ الموت أبعادًا أكثر تعقيدًا، وقتامة فلم يعد الموت مجرد نهاية حيوية، أو غرضًا تقليديًا للرثاء، بل تحول إلى حال اغترابية تسكن الإنسان، وهو على قيد الحياة، فالشاعر الحديث لم يعد يرثي الأجساد فحسب، بل بات يرثي المدن، والأحلام، والقيم، والكرامة المهدورة، فهذا الاتساع في مفهوم الموت جعل منه باعثًا يعمق إحساس الشاعر بقسوة الوجود، وعبثه، فحين يرى المبدع أن كل ما يمت للجمال، والحرية بصلة يُغتال أمامه، فيتولد لديه شعور

بانفصال روحي حاد؛ إذ يغدو الموت معادلاً موضوعيًا للخراب الخارجي، وتصبح الحياة نوعًا من الموت المؤجل، أو المنفى الذي يُجرد فيه الإنسان من إنسانيته.

وفي تجربة عبد الحميد بطاو يبرز الموت كأحد أهم تجليات هذا الاغتراب، فالشاعر لا يقف أمام حدث الموت العابر، بل يراه انطفاءً لمعاني الحياة، وانهيارًا للقيم الجمالية في عالم يزداد قبحًا، وتتجلى هذه الرؤية بوضوح في مراثيه، وتحديدًا في قصيدته "مات نزار"، التي يرثي فيها الشاعر نزار قباني، ففي هذا النص لا يبكي بطاو شخصًا، بل يبكي رمزًا للحب، والجمال محولاً هذا الفقد إلى انقلاب كوني يعكس اغتراب الذات الشاعرة، وانفصالها عن محيطها عبر ثلاث لوحات متداخلة، حين يبدأ الشاعر قصيدته بتصوير أثر هذا الموت على الفضاء الخارجي، وتفقد الطبيعة توازنها، وتضيق الدنيا بما رحبت، فيربط الشاعر بين موت نزار، وجفاف منابع الحياة في دمشق مسقط رأس الفقيد؛ لتصبح الطبيعة مرآة لحال الجدب الداخلي، حين يقول (بطاو، 2020م، ص 203):

فَجْأَة ضَاقَ فَضَاءُ الدُّنْيَا
ذبُلَتْ ورُودُ الشَّام
يَبَسَتْ كُلَّ بَسَاتِينَ الْغُوطَة
جَفَّ الْمَاءُ بِبَرْدَى
سَادَ الْجَدْب

يُجسد هذا المقطع تلاحمًا مأساويًا بين فكرتي الموت، والاغتراب؛ حيث لا ينتهي الموت عند حدوده الحيوية مثل فقدان رمز الإبداع، بل يتمدد ليصبح قوة إفناء كونية تغتال نبض الطبيعة، وجمالها، فهذا الموت الكاسح الذي أصاب "ورود الشام"، وجفف شريان "بردى" يخلق حالاً من الاغتراب المكاني، والنفسي الخانق للذات الشاعرة؛ إذ يتقلص "فضاء الدنيا" فجأة؛ ليتحول إلى زنزانة من الجدب، واليباس، فالشاعر هنا يسقط موته الداخلي، وفجيعته على محيطه الخارجي؛ ليفقد انسجامه مع الطبيعة، التي كانت تمثل ملاذًا جماليًا، وروحيًا له، وبذلك يغدو الموت صانعًا للاغتراب المطلق؛ حيث تتجرد الجغرافيا من هويتها، وتصبح غريبة، وموحشة، وتتحول الحياة في غياب الإبداع إلى منفى قاحل لا متسع فيه للروح، مؤكدًا أن موت الجمال الخارجي هو إعلان صريح عن اغتراب الإنسان داخل عالمه.

وينتقل الشاعر من يباس الطبيعة إلى انكسار الجمال الإنساني، فبما أن نزار قباني عُرف بكونه شاعر المرأة، فإن موته يعني يُتم الأنوثة، وفقدانها لبهائها، فيبين بطاو هذا الانكسار من خلال صور شعرية حزينة تصل إلى حد تشبيه الأزهار برؤوس المشنوقين؛ وذلك في قوله (بطاو، 2020م، ص 203 - 204):

فَقَدَتْ كُلُّ نِسَاءِ الدُّنْيَا زِينَتَهَا
انْشَرَخَتْ كُلُّ مَرايَاهَا
وانْكَسِرَتْ قَارُورَاتِ الْعِطْرِ
تَجَعَّدَ شَعْرُ الْغَجْرِيَاتِ
مَا عَادَتْ تُغْرِي بِالْحُبّ
مَالت كَرُؤوسِ الْمَشْنُوقِينَ
عَلَى الأَغْصَانِ الأَزْهَار
فَقَدَ الْكَوْنُ عَبِيرَ الْعِطرِ
حَفِيفَ الْوَرَق
نَسِيمَ الصُّبح
وَصَار الْعُودُ بِلا أَوْتَار

تظهر هذه اللوحة الشعرية أعمق تجليات الاغتراب الجمالي، والوجودي الناشيء عن فجيعة الموت؛ حيث يتجاوز الموت دلالته كفناء بيولوجي؛ ليصبح قوة تدميرية تشوه ملامح الكون، وتغتال مصادر الفرح، فيعبر الشاعر عن هذا الانفصال الحاد عبر انكسار المرايا، وتحطم قوارير العطر في إشارة إلى تشظي

الذات، وفقدانها لانسجامها مع مباهج الحياة، والأنوثة، وتصل صدمة الموت إلى ذروتها المأساوية في الصورة الاستعارية التصريحية القاسية في قوله: (مالت كرؤوس المشنوقين على الأغصان الأزهار)؛ حيث يُسقط الشاعر عنف الموت، وقسوته على أرق عناصر الطبيعة، وهو ما يخلق اغترابًا بصريًا، ونفسيًا مرعبًا يحيل الجمال إلى مشهد جنائزي، وينتهي هذا الخراب الكوني بتجريد العالم من حواسه (العبير/ الحفيف/ النسيم)؛ ليتحول الوجود إلى "عود بلا أوتار" معلنًا سيادة الصمت المطلق، وعجز الذات عن العزف، أو التواصل؛ لتقبع وحيدة ومغتربة في منفى روحي فقدت فيه الحياة كل مبرراتها، وألحانها.

وتصل القصيدة إلى ذروة المأساة، حين يمتد الموت؛ ليصيب اللغة ذاتها، فالكلمات التي كانت تنبض بالدفء تتحول إلى جثث هامدة؛ ليتساءل الشاعر في حيرة وجودية عن سبب هذا الخراب، فينزل عليه الجواب صاعقة؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 205 - 206):

فَجْأَة
زَادتْ عَتْمَةُ لِيلِ الْكون
وَسَادَ الدُّنيا
حِسٌّ طَاغٍ بِالإِخْفاقِ
مَاتَتْ كَلِمَاتُ الْعُشَّاقِ الدَّافِئَةِ
وَصَارَتْ جُثَثاً مُتَفَسّخة
تَسَاقَط مِنْ بينَ شِفاه الْعُشّاق
.....
فتساءلت:
تُرى مَاذَا حَدَثَ لِهَذَا الْكون..؟
وَكَيْفَ تَمُوتُ الرَّوْعَةُ فيهُ لِهَذا الْحدِ..؟
فَقَالُوا:
أَوَلَمْ تَعْلَم
مَاتَ نِزَار

يبلغ التلاحم المأساوي بين الموت والاغتراب ذروته في هذا المقطع؛ حيث يتجاوز الموت فناء الأجساد ليغتال "اللغة" ذاتها، محيلاً كلمات العشق الدافئة إلى "جثث متفسخة"، فهذا التحول البشع يجسد أقسى درجات الاغتراب الوجودي، واللغوي، فبموت الكلمات تُعدم أداة التواصل، والخلاص، وتُعزل الذات في كونٍ موحش تسوده العتمة، والإخفاق، وأمام مشهد هذا الخراب الكوني، الذي جرّد العالم من معناه، تتضاعف وحشة الشاعر، وعزلته، وهو ما يدفعه إلى طرح تساؤله الاستنكاري المفعم بالحيرة، والضياع: (كيف تموت الروعة؟)، فهذا التساؤل يظهر صرخة الذات المغتربة، التي تبحث عن مبرر لانهيار الجمال من حولها؛ لتأتي الإجابة (مات نزار)، وتكشف عن فداحة الموت الذي لم يكتفِ بغياب رمز الإبداع، بل سلب الوجود جوهره تاركًا الشاعر غريبًا، وأعزل في واقعٍ تعفنت فيه لغة الحياة، وماتت فيه القدرة على الحب، والتعبير.

ومن ذلك نخلص إلى أن اغتراب الشاعر هنا يتجلى عبر تحويل موت نزار قباني من مجرد حدث حيوي إلى فاجعة كبرى مات فيها الإبداع، والجمال في واقعٍ يزداد قبحًا، فرثاء نزار في هذا النص هو في جوهره رثاء للذات الشاعرة (بطاو نفسه)، التي وجدت نفسها وحيدة، ومغتربة في عالم فقد بوصلة الحب، واستحال إلى صمت، وعتمة.

د/ الاغتراب الشيبي (صراع الذات والزمن):

إنَّ معاناة الإنسان من الشعور بالاغتراب معاناةٌ قديمة، تعود في تناولها الفلسفي، والإنساني إلى انفصال الإنسان عن الفردوس، ونزوله منه إلى الأرض، وهو أول اغترابٍ ماديٍّ، ومعنوي خلق في الإنسان شعورًا

بالشجن، والحنين، والاغتراب، والحزن، وأوجد معضلة كبرى في علاقة الإنسان بالأرض؛ إذ ظهرت له في موطنين متقابلين: رحم الأم، والغربة عن الوطن الأصلي في الوقت ذاته.(عبد الفتاح، د.ت)

ولعلّ الاغتراب الشَّيبي من الظواهر النفسية والوجدانية التي تتجلّى في التجربة الشعرية لدى كثير من الشعراء، كلٌّ من منظوره الخاص؛ فهو يرتبط بطور النمو الوجودي، التي يمرّ بها الإنسان مع تقدّمه في العمر، ودخوله سنّ الشيخوخة، ففي هذه المرحلة يواجه الشاعر إحساسًا مضاعفًا بالانفصال عن الزمن، ويزداد شعوره بالاغتراب، فالعالم يبدو غريبًا، وقاسيًا، بينما يبدو الماضي مفقودًا، وبعيد المنال، والشاعر، وهو يحسّ بهذه المشاعر الاغترابية المريرة تجاه واقعه، وحياته يجد نفسه أكثر ميلًا إلى التنفيس عن ذاته، ومحاربة مشاعر الاغتراب من حزنٍ، وخوفٍ، وقلق، وذلك بإلقاء اللوم على الزمان، والتشكّي ممّا أصابه، ولعلّ أبرز مظاهر هذه الرؤية تتمثّل في النظرة المتشائمة إلى الزمن، وتحولاته(الزبير، 1989م) .

وإنّ أول ما يشكو منه الشاعر الذي تملّكته آثار الشيب، المقترنة زمنيًّا بتقدّمه في العمر، هو الشعور بالظلم، والقهر من هذا الزمان، فقد كان الزمان مواليًا له، ومصاحبًا له في زمن الشباب، ثم تبدّل، وتغيّر في الحاضر، فأصبح ظالمًا، وغادرًا، ويأتي ذلك تبعًا لرؤيته السلبية لذلك الضعف المتمثّل في حياة الشاعر، وواقعه؛ ولذلك يلجأ إلى الشكوى من الزمان، وقد تعدّدت مظاهر هذه الشكوى، ومن أبرزها الشكوى من الشيب المبكّر، الذي أتى في غير أوانه، وزمانه. (الشاطوف، 2016م) .

وإذا ما تأملنا هذه الظاهرة في نتاج عبد الحميد بطاو، سنجد أن الاغتراب الشيبي يكتسب دلالة مضاعفة، فالشاعر الذي قضى عمره متمردًا على السلطة السياسية، ورافضًا لقيود السجن، وقهر المجتمع يجد نفسه الآن في مواجهة سلطة من نوع آخر سلطة لا يمكن الإطاحة بها، أو الهروب من سلطة الزمن، فالشيب لديه ليس مجرد تحول حيوي طبيعي يُستقبل بالتسليم، بل هو إعلان عن بدء العزلة، وتهديد مباشر لحيوية الرفض، التي تميز شخصيته.

غير أن بطاو الوفي لروح التمرد المتأصلة فيه، لا يستسلم لهذا الاغتراب الزمني، بل يواجهه بسلاح المكابرة، والرفض، وتُعد قصيدته "إلى المكابرة"، التي أهداها إلى الشاعر عبد المولى البغدادي عند بلوغه الثمانين خير وثيقة شعرية، ونفسية لدراسة هذه الظاهرة، فاختيار الشاعر لصديق من جيله ليخاطبه في هذه القصيدة ليس صدفة، بل هو توظيف لتقنية المرآة العاكسة؛ حيث يتقمص بطاو حال صديقه، ويرى في ثمانينياته انعكاسًا لزحف الزمن عليه هو أيضًا؛ ليعبر من خلال هذا الإهداء عن همٍّ إنساني، وشعري مشترك محولاً النص إلى ساحة معركة بين حيوية الروح، وحتمية الفناء.

في بداية المطلع يفتتح بطاو قصيدته بأسلوب المواجهة المباشرة، مستخدمًا نداءً استعاريًا عميقًا فيقوله: (يا عاصر الدهر)؛ ليخاطب الزمن بوصفه قوة تعتصر الأعمار، وتتجلى حال الاغتراب عن الجسد في رفض الشاعر الاعتراف بزمنه الحيوي، معلنًا استمراره في اقتحام دروب الحياة، والعشق بحماس الشباب؛ حيث يقول (بطاو، 2020م، ص 268):

يَا عَاصِرِ الدَّهْرِ لا تَدْنُو إِلَيَّ بَدَنِي
حَتَّى وَإِنْ كَانَ عُمْرِي فِي الثَّمَانِينِ
لازِلْتُ أَسْلُكُ دَرْبَ الْعِشْقِ مُقْتَحِمًا
وَلَمْ يَزَلْ هَمْسُ مَنْ أَهْوَاهُ يُغْرِينِي

يجسد هذا المقطع جوهر "الاغتراب الشيبي" المتمثل في المفارقة القاسية بين حيوية الروح، وحتمية الذبول الجسدي؛ حيث يفتتح الشاعر نصه بمواجهة ندية مع الزمن رافضًا الخضوع لسطوته، ومصادرته لجسده رغم بلوغه عتبة الثمانين، وينبثق التمرد على هذا الاغتراب الزمني من خلال كسر الصورة النمطية للشيخوخة، فالذات الشاعرة ترفض الركون إلى العزلة، والضعف، وتختار عوضًا عن ذلك اقتحام درب العشق بعنفوان الشباب، وهذا التشبث من قبل الشاعر بنداء الهوى، ومغريات الحياة يمثل درعًا وجوديًا يقاوم به زحف المشيب؛ ليؤكد أن اغترابه ليس استسلامًا للزمن، بل هو صراع واعٍ بين جسدٍ تحاصره أرقام السنين، وروحٍ متمردة ترفض الانطفاء، وتأبى أن تشيخ داخل سجن العمر.

ولا يقف هذا التمرد عند حدود الرفض الحيوي، بل يتجاوزه إلى صراع أشد قسوة مع نظرة المجتمع؛ فالاغتراب الشيبي يظهر بقوة، حين يرى الشاعر نفسه شعلة تتوهج، بينما يراه الآخرون مجرد شيخ طاعن"، ويصل هذا الرفض إلى حد التمرد على الألقاب الاجتماعية العائلية، فيقول (بطاو، 2020م، ص 268):

هَذِى الثَّمَانُون قَد جَاءَتْ وَمَا خَفَتَتْ
نَارُ الَّتوَهُجِ مِنْ قَلْبِي وَمِنْ عَيْنِي
حَتَى وإِنْ قَالَ جَدي لَنْ أَقُولَ نَعَم
لِذَا الْحفِيد الذي لا شكَّ يَعنِينِي

يعمق هذا المقطع من دلالات الاغتراب الشيبي عبر تسليط الضوء على الصدام الحاد بين حيوية الذات الداخلية، والقيود الاجتماعية المفروضة بحكم السن، فالشاعر يؤكد أن بلوغ الثمانين لم يطفئ "نار التوهج" في قلبه، وعينيه، وهو ما يخلق شرخًا نفسيًا، ومفارقة قاسية بين زمن الروح الشابة، وزمن الجسد الهرم، ويتجلى هذا الاغتراب في أبعاده الاجتماعية حين يرفض الشاعر الاستجابة لنداء حفيده بلقب جدي، فهذا الرفض ليس تنكرًا لروابط الدم، أو لامتداد المستقبل، الذي يعنيه بلا شك، بل هو تمرد قاطع على القوالب الجاهزة، التي يفرضها هذا اللقب، فكلمة "جدي" تعني في الوعي الجمعي حكمًا بالتقاعد عن شغف الحياة، والركون إلى هامش الوجود، وهو ما ترفضه الذات الشاعرة بشدة متخذةً من المكابرة سلاًحا لحماية توهجها الداخلي، ومقاومة التهميش الاجتماعي، والنفسي، الذي يفرضه زحف المشيب.

وأمام هذا الحصار المزدوج الجسدي، والاجتماعي، لا تجد الذات المغتربة ملاذًا سوى القصيدة، و الطبيعة؛ لترميم انكسارها، فيعترف الشاعر ببياض شيبه كحقيقة واقعة، لكنه يجعله عاجزًا عن تجميد مشاعره؛ حيث يتحول الشعر إلى قوة سحرية تعيد للروح خصبها، فيقول (بطاو، 2020م، ص 268 - 269):

مَازِلتُ رُغْمَ بَيَاضِ الَّشيْبِ تَجَذِبُنِي
نَحْوَ الْهَوى بَعْضُ أَشْعَارِي وَتُنْشِينِي
مَازِلْتُ حِينَ يَمُرُّ الْغَيْمُ يُمْطِرُنِي
فَيُورِقُ الْخِصْبُ فِي جَدْبِي ويَرْوِين

يقدم هذا المقطع حلاً جماليًا، وروحيًا لتجاوز أزمة الاغتراب الشيبي، فبرغم اعتراف الشاعر بقسوة التحول الحيوي المتمثل في بياض الشيب، والجدب، إلا أنه يرفض تمامًا أن يمتد هذا الخراب الجسدي؛ ليطال روحه، وأمام هذا الانفصال المؤلم بين جسدٍ يشيخ، وروحٍ تفيض بالحياة يتخذ الشاعر من الفن، والطبيعة طوق نجاةٍ يقاوم به عزلته الزمنية، فالشعر يغدو قوةً تشده نحو الهوى، والغيم يتكفل بإروائه؛ ليعيد الخصب إلى أرضه اليباب، وبهذا التماهي الإبداعي ينجح الشاعر في قهر اغترابه عبر خلق زمن نفسي موازٍ للزمن البيولوجي؛ لتتجاوز القصيدة حدود الجسد المتهالك، وتصبح وطنًا بديلاً تورق فيه الروح، وتستعيد الذات انسجامها المفقود محلقةً بعيدًا عن سطوة الشيخوخة، وحتمية الفناء.

وبهذا التحليق الروحي يصل الشاعر في ختام القصيدة إلى ذروة المكابرة، فهو لا يقف موقف المنهزم، الذي خذله جسده، بل يقف موقف المتحدي الساخر من الزمن، ويؤكد أن بوصلة روحه لم تتُه، ويطلب من الدهر - في مفارقة ساخرة - أن يصبغ شيبه بالسواد، ليس هربًا من الحقيقة، بل لمجرد التسلية، وذلك في قوله (بطاو، 2020م، ص 269):

يا عَاصِر الَّدهْرِ لا باللهِ مَا وَقَفَتْ
رُوحِي عَنِ الْعشّقِ أَو تَاهَتْ عَنَاوِينِي
يَا عَاصِر الَّدهْرِ حَاوِل أَنْ تَرُشَّ على
بَيَاضِ شعْرِي سَوَادًا كَي تُسلينِي

يصل الشاعر في هذا المقطع الختامي إلى ذروة المكابرة، والانتصار على أزمة الاغتراب الشيبي، فبدلاً من الرضوخ لسطوة الزمن يقف موقف المتحدي الساخر، الذي يخاطب الدهر بندية تامة، ويؤكد بقسمٍ قاطع أن بوصلة روحه لم تتُه، وأن شغفه بالحياة، والعشق لم يتوقف، وهو ما يعكس انتصار الجوهر الداخلي الشاب على التغيرات البيولوجية القاهرة، وتتجلى قمة التمرد على هذا الاغتراب الجسدي في طلبه العبثي من الزمن أن يرش السواد على بياض شعره لمجرد التسلية، فهذا الطلب ليس محاولةً يائسة للهروب من حقيقة المشيب، بل هو إعلان صريح عن تهميش الأثر المادي للشيخوخة، والتقليل من شأنها، وبهذا التحدي الساخر ينجح عبد الحميد بطاو في تحويل تجربة الشيخوخة القاسية من حال انكسار، واغتراب، إلى ملحمة من المكابرة، والتشبث بالحياة مؤكدًا أن الروح المتقدة قادرة على هزيمة الزمن، والتحليق فوق قيود الجسد حتى الرمق الأخير.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة التحليلية في رحاب التجربة الشعرية لعبد الحميد بطاو، واستنطاق نصوصه لكشف تجليات ظاهرة الاغتراب، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أبرزها:

1- لم يتبلور الاغتراب في تجربة الشاعر كحال أحادية، بل تشكّل مثل منظومة دائرية يغذي بعضها بعضًا؛ حيث انعكس الخراب السياسي، والانسداد التاريخي على جغرافية المكان؛ ليرتدا معًا إلى الداخل الإنساني خالقين شتاتًا ذاتيًا يجعل من اغتراب الروح النتيجة الحتمية لاغتراب الأوطان.
2- أثبتت التجربة أن الذات الشاعرة لم تركن إلى سلبية الوجع، بل مارست نوعًا من الكيمياء النفسية؛ إذ أُعيد تدوير مشاعر القلق، والحزن، والعزلة؛ لتُسكب في قوالب ثورية غاضبة جاعلةً التمرد على زيف السلطة، وقهر السجان حائطَ صدٍّ يحمي الذات من التلاشي.
3- تجاوز الشاعر النظرة البيولوجية التقليدية للفناء؛ ليتخذ من الموت عدسةً يقرأ من خلالها انهيار المنظومة الجمالية، والأخلاقية في محيطه، فالفقد لديه ليس غيابًا للجسد، بل هو إعلان عن تعفن اللغة، وتصحر الكون، وموت المعنى في واقع مأزوم.
4- كشفت نصوص الاغتراب الشيبي معركة وجودية شرسة بين زمنين: زمن الحياة يزحف بالوهن، وزمن نفسي يفيض بالعنفوان، وقد حُسمت هذه المعركة لصالح الروح المتمردة، التي اتخذت من المكابرة، والعشق درعًا لصدّ شيخوخة الجسد رافضةً الانصياع للقوالب الاجتماعية الجاهزة.
5- في ظل مصادرة الحريات، وتغول الاستلاب تحولت القصيدة من مجرد أداة تعبيرية إلى ملاذ مكاني، ووطن موازٍ، فبين سطورها استعاد الشاعر حريته المسلوبة، ورمّم انكساراته محولاً نزيفه الفردي إلى وثيقة إنسانية خالدة تقف في وجه النسيان، والمحو.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

ابن منظور، م. م. (د.ت.). لسان العرب. دار صادر.

بطاو، ع. (2020). الأعمال الشعرية الكاملة. الدار العالمية للنشر والتوزيع.

ثانيًا: المراجع:

التميمي، س. ع. (2017). الاغتراب في شعر نازك الملائكة. دار غيداء للنشر والتوزيع.

الخشروم، ع. (1982). الغربة في الشعر الجاهلي. منشورات اتحاد الكتّاب العرب.

الزبير، م. ح. (1989). الحياة والموت في الشعر الأموي. دار أمية للنشر والتوزيع.

عبد الفتاح، ك. (د.ت.). إشكاليات الوجود الإنساني. دار المطبوعات الجامعية.

الفلاحي، أ. ع. (2013). الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري. دار غيداء للنشر والتوزيع.

ثالثًا:الرسائل الجامعية:
الشاظوف، ع. م. (2016). الاغتراب الشيبي عند شعراء الشهاب: دراسة تحليلية فنية [رسالة دكتوراه غير منشورة]. جامعة عين شمس.
مصطفى، و. ز. (2016). عبد الحميد بطاو والتجربة الشعرية وظواهرها الفنية [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة طرابلس

Compliance with ethical standards

Disclosure of conflict of interest

The authors declare that they have no conflict of interest.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **JLABW** and/or the editor(s). **JLABW** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.